إسرائيل تمحو صحفيي غزة – ولم تعد حتى تحاول إخفاء ذلك

جودي جينسبيرغ – الرئيسة التنفيذية للجنة حماية الصحفيين

تم نشر هذه المقالة في صحيفة الجارديان بتاريخ 13 أغسطس/آب 2025، وجميع البيانات والمعلومات تغطي هذه الفترة وليس بعدها

القوانين الدولية للحرب واضحة: الصحفيون مدنيون. واستهدافهم عمدًا خلال النزاعات يُعد جريمة حرب.

لطالما تباهت إسرائيل بأنها الدولة الوحيدة في المنطقة التي تدعم حرية الصحافة. لكن هذا الادعاء كان أجوفًا حتى قبل الحرب الحالية. أما الآن، لم تعد إسرائيل تحاول التظاهر بذلك حتى. يوم الأحد، قتلت إسرائيل بشكل علني وفجّ ستة صحفيين بينما كانوا يحتمون في خيمة مخصصة للصحفيين والعاملين في المجال الإعلامي.

اتهمت إسرائيل أحد هؤلاء الصحفيين – أنس الشريف من قناة الجزيرة – بأنه "إرهابي". لكنها لم توضح ما هي الجريمة التي ارتكبها الآخرون لتبرير قتلهم. القوانين الدولية واضحة: الصحفيون مدنيون، واستهدافهم عمدًا يُعد جريمة حرب.

ليس من المستغرب أن تعتقد إسرائيل أنها قادرة على الإفلات من العقاب على جرائم القتل. فعلى مدى العقدين اللذين سبقا 7 أكتوبر/تشرين أول، قتلت القوات الإسرائيلية 20 صحفيًا، ولم يُحاسب أحد على أي من تلك الجرائم – بما في ذلك قتل الصحفية شيرين أبو عاقلة من قناة الجزيرة عام 2022، والذي هزّ المنطقة بأكملها. كانت أبو عاقلة، التي تحمل الجنسية الأمريكية-الفلسطينية، اسمًا معروفًا في كل بيت في الشرق الأوسط، تمامًا كما أصبح أنس الشريف وجهًا مألوفًا لمتابعيه أثناء تغطيته للعدوان الإسرائيلي على غزة.

بدأت إسرائيل توجيه التهديدات لأنس الشريف في الأيام الأولى للحرب. حيث أفاد الصحفي بتلقيه عدة مكالمات من ضباط في الجيش الإسرائيلي يطلبون منه التوقف عن التغطية ومغادرة شمال غزة، بالإضافة إلى رسائل صوتية عبر "واتساب" تكشف عن موقعه. وفي ديسمبر 2023، استهدفت غارة جوية إسرائيلية منزل عائلته، مما أدى إلى مقتل والده البالغ من العمر 90 عامًا.

بعد عام، اتهم الجيش الإسرائيلي الشريف علنًا بأنه إرهابي – وهي مزاعم كررها الشهر الماضي بعد أن كشف الشريف عن مستويات المجاعة المتفشية في غزة نتيجة رفض إسرائيل إدخال مساعدات غذائية كافية. وقد اتهم متحدث باسم إسرائيل الشريف بالكذب بشأن المجاعة، رغم أن منظمات دولية ومستقلة أكدت صحة تقاريره بشأن الجوع المنتشر.

رصدت لجنة حماية الصحفيين هذا النمط سابقًا، حيث توجه إسرائيل اتهامات للصحفيين بأنهم "إرهابيون" دون تقديم أدلة موثوقة. كنا قلقين للغاية بشأن أنس الشريف لدرجة أننا أصدرنا بيانًا علنيًا نطالب فيه بحمايته.

حتى الآن، لم تقدم إسرائيل أي دليل يمكن التحقق منه بشكل مستقل يثبت أن أيًا من الصحفيين الذين أقرت باستهدافهم عمدًا كانوا إرهابيين. بل إن أنس الشريف قُتل مع زملائه في هجوم اعترفت إسرائيل صراحة بأنه كان يهدف إلى قتله. الشريف هو الصحفي الفلسطيني رقم 184 الذي تقتله إسرائيل منذ بدء الحرب، وأحد 26 صحفيًا على الأقل تعتقد لجنة حماية الصحفيين أنهم استُهدفوا عمدًا بسبب عملهم الصحفي. أما الباقون، فقد قُتلوا بلا شك على يد القوات الإسرائيلية، لكننا لم نتمكن من التأكد مما إذا كانت إسرائيل على علم بأنهم صحفيون لحظة استهدافهم.

تدّعي إسرائيل أنها لا تستهدف الصحفيين عمدًا. لكن الأدلة تشير إلى العكس. حتى الآن، لم تقدم إسرائيل أي دليل مستقل يثبت أن الصحفيين الذين أقرت باستهدافهم كانوا ينتمون فعلًا إلى جماعات مسلحة. ففي إحدى الحالات – وهي قضية الصحفي في قناة الجزيرة إسماعيل الغول – زعمت الوثائق الإسرائيلية أنه أصبح قائدًا في كتيبة تابعة لحماس عندما كان عمره 10 سنوات

فقط. أما الوثائق التي نشرتها إسرائيل بشأن أنس الشريف على منصة "إكس"، زعمت أنها تُظهر تلقيه راتبًا من حماس في عام 2023. لكنها لا تثبت أنه كان عضوًا نشطًا في الجماعة، رغم أن إسرائيل قالت إنها تملك "معلومات استخباراتية حديثة" – لم تُنشر – تفيد بأنه كان عنصرًا فاعلًا في الجناح العسكري لحماس.

ليس غريبًا أن تشعر إسرائيل الآن بالثقة الكافية لقتل الصحفيين علنًا، إلى درجة أنها اعترفت بقتل ستة صحفيين وعاملين في الإعلام في هجوم واحد، مع الادعاء بأن هدفها كان واحدًا فقط. إن تقاعس المجتمع الدولي في إدانة هذه الأفعال أمر مؤسف.

ويشمل ذلك مجتمعنا الصحفي أيضًا. بينما تلقت لجنة حماية الصحفيين عروضًا كبيرة للدعم والتضامن عندما كان الصحفيون يُقتلون في أوكرانيا في بداية الغزو الروسي الشامل، كان رد فعل وسائل الإعلام الدولية على مقتل زملائنا الصحفيين في غزة في بداية الحرب خافتًا في أحسن الأحوال. في بعض عمليات القتل البارزة - مثل مقتل صحفي رويترز عصام عبد الله - دافعت بعض الحكومات عن حرية الصحافة بحجج واهية، لكنها لم تصل إلى حد توجيه انتقادات جادة لإسرائيل. وقليل منها اتخذ أي خطوات ملموسة - مثل وقف بيع الأسلحة أو تعليق الاتفاقيات التجارية - كان من شأنها أن تُجبر إسرائيل على تغيير مسارها.

الآن، ومع مقتل أكثر من 192 صحفيًا وعاملًا إعلاميًا منذ بداية الحرب - وهي أعنف صراع شهدناه على الإطلاق للصحفيين - ازدادت حدة الإدانة من الصحفيين الأفراد وبعض غرف الأخبار. ولكن من الصعب أن نرى، إذا استطاعت إسرائيل القضاء على طاقم إخباري بأكمله دون أن يرفّ لها جفن من المجتمع الدولي، ما الذي سيوقف المزيد من الهجمات على الصحفيين.

لقد أصبحت نافذتنا على غزة بالفعل محدودة أكثر فأكثر. ومع دخول إسرائيل المرحلة الأخيرة من هجومها على القطاع، فإنها الآن معرضة للإغلاق التام.